كتاب « دولة اليهود »
لـ « ثيودور هرتزل

ولد ثيودور هرتزل فى بودابست ١٨٦٠ ، ومات ١٩٠٤ .

عمل صحفياً فى ڤيينا ، ألف مسرحيات وكتابين ، يومياته ، ثم كتاب « الدولة اليهودية » الذى نشر فى العقد الأخير من القرن الماضى .

يعتبر « الدولة اليهودية » دستور قيام دولة إسرائيل * ، ويضعه كثير من اليهود تالياً للتوراة والتلمود ، ويجعلوا من هرتزل - الذى كان علمانياً ، ومات على الأرجح بمرض الزهرى - نبى القرن التاسع عشر .

وللأسف الشديد ، بلغ بنا التقصير وعدم المبالاة والوعى أن أول ترجمة عربية نشرت لهذا الكتاب جاءت السنة الماضية ، عندما قام بترجمته محمد يوسف عدس وراجعه الدكتور عادل حسن غنيم أستاذ التاريخ المعروف ، ونشرته دار الزهراء للنشر .

* * *

بناء على دعوة هرتزل ، عُقد المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل بسويسرا ٢٩ - ٣١ أغسطس ، تلته مؤتمرات صهيونية أخرى حتى جاء وعد بلفور ١٩١٧ ، ثم صك الانتداب ثم .. ثم ...

يتكون الكتاب من خمسة فصول وخاتمة ، قدم له حاييم وايزمان - أول رئيس لدولة إسرائيل - قبل مقدمة المؤلف ، وذلك فى إحدى الطبعات الإنجليزية المتأخرة للكتاب .

---

*ليس لإسرائيل دستور مكتوب حتى اليوم ، تجنبا للصدام بين العلمانيين والأحزاب الدينية ، فللأحزاب الدينية قدرة اسقاط الحكومات - التى تشترك فيها منذ قيام دولة إسرائيل - كذلك إذا جاء الدستور علمانيا فكيف ستبرر إسرائيل قيامها أمام الغرب بعد أن أسسته على أسطورة الأرض الموعودة فى التوراة ؟

وفيما يلي أهم أفكار الكتاب مع تعليقاتنا عليها :

مقدمة حاييم وايزمان

تساءل وايزمان عن سر الاهتمام الزائد بكتاب هرتزل ، وبقاءه أكثر من كتب أخرى لمؤلفين صهاينة مثل « روما والقدس » ـ موسى هس ، « التحرر الذاتى » ـ ليون بنسكر ، هل صدوره معاصراً لقضية دريفوس * « التى طرحت المشكلة اليهودية بشكل جاد أمام كثير من اليهود الذين لم يكونوا على وعى بها ؟ » .

ثم يقول :

« إن عظمة هرتزل الحقيقية تتجلى فى تواضعه أمام إخلاص وإيمان الجماهير اليهودية المتواضعة فى الجيتو بأوروبا الشرقية ، والذى اكتشفه خلال نشاطه بالحركة الصهيونية . ومن ثم كانت أكثر العبارات تأثيراً فى مذكراته تلك التى تشير إلى مندوبى أوروبا الشرقية . لقد اكتشف فى جيتو ڤيلنا ووارسو جيشاً كبيراً من العمال والمشايعين ، علم أنه يمكن الإعتماد عليهم حتى الموت » .

« لقد كان يلازمه شبح المذابح التى أثارت ـ فى ذلك الوقت ـ خيال اليهود الغربيين ، إلا أنها كانت تعبيراً مخففاً عن العداء للسامية إذا قورنت بما يحدث فى الوقت الراهن[1] » .

« لقد ووجه هرتزل بأكبر مفاجأة فى حياته كلها عندما قوبل مشروعه فى الحل الأوغندى[2] بمقاومة هؤلاء اليهود الذين كانوا أحوج ما يكونون إلى هذا الملجأ » .

واختتم وايزمان مقدمته قائلاً :

إن جيلاً جديداً من اليهود قد تتاح لهم الفرصة لإتمام هذا الذى بدأناه ، ولسوف يستمدون الإلهام والشجاعة من الرؤية الواضحة والإيمان النبيل الذى ينبثق من صفحات ثيودور هرتزل « الدولة اليهودية » .

---

* ضابط فرنسى يهودى ، أتهم بالتجسس لحساب ألمانيا عام ١٨٩٤ ، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، ثم أعيدت محاكمته وحصل على البراءة ، وكانت قضية رأى عام فى فرنسا ذلك الوقت .

١ـ مذابح هتلر بالمقارنة بالمذابح التي حدثت بروسيا أواخر القرن الماضي .

٢ ـ كانت هناك اقتراحات كثيرة لمكان إقامة الدولة اليهودية : ليبيا ـ أوغندا ـ كينيا ـ أستراليا ـ الأرجنتين ، بالإضافة لسيناء وفلسطين .

مقدمة هرتزل

« إن الدولة اليهودية ضرورية للعالم ، ولذلك فسوف تقوم »

« هل معاناة اليهود ليست على درجة كافية من الخطورة ؟ »

« إن العالم يردد صيحات صاخبة ضد اليهود .. وهذه الصيحات هى التى أيقظت الفكرة من سباتها » .

« إن كل شئ يعتمد على قوتنا الدافعة .. ولكن ماهى قوتنا الدافعة ؟ إنها بؤس اليهود . فمن يجرؤ على إنكاره ؟ »

الفصل الأول : تمهيد

« فى الوقت الذى تحبسنا فيه أوروبا فى الجيتو نسمع عن أحداث تجرى فى مناطق من العالم لم تكن اكتشفت من قبل ، وذلك فى غضون ساعة من وقوعها . ومن ثم فإن بؤس اليهود يعتبر مفارقة تاريخية » .

« إن المسألة اليهودية توجد حيثما يوجد عدد ملحوظ من اليهود ، وحيث تختفى هذه المشكلة فمعناها أن اليهود قد هاجروا وحملوها معهم . ومن الطبيعى أننا نرحل إلى الأماكن التى لا نلقى فيها الاضطهاد ، حتى إذا حللنا هنالك فإن مجرد وجودنا فى حد ذاته يولد الاضطهاد . إن أصحاب الحظ العاثر من اليهود يحملون الآن العداء للسامية إلى إنجلترا ، وإلى أمريكا .

أعتقد أننى أفهم العداء للسامية ، إنها حركة بالغة التعقيد ، إننى أنظر إليها من وجهة نظر يهودية ولكن بدون خوف أو كراهية ، إننى أستطيع أن أرى العناصر التى تدخل فى تركيبها . فهى مزيج من السخرية المبتذلة ، ومن الغيرة فى المسائل التجارية العامة ، ومن التعصب الموروث ، وعدم التسامح الدينى ، إلى جانب التظاهر بالدفاع عن النفس .

أعتقد أن المسألة اليهودية لم تعد مجرد مشكلة اجتماعية بقدر ماهى قضية دينية » .

« إننا شعب .. وشعب واحد . لقد حاولنا مخلصين فى كل مكان أن نندمج فى الحياة الاجتماعية للمجتمعات المحيطة بنا ، وأن نحافظ على عقيدة أبائنا ، ولكن لم يسمح لنا بذلك » .

« إن الأكثرية فى أى بلد يمكنها أن تقرر من هم الأجانب ، فالقضية هنا قضية قوة ، شأنها فى ذلك شأن الأمور الأخرى التى تنشأ فى مجرى العلاقات بين الشعوب . القوة تسبق الحق . هذه هى الحقيقة الواقعة فى عالمنا المعاصر ، وسوف تبقى كذلك إلى أمد بعيد . » .

« إن الظلم والاضطهاد لن يقضيا علينا .. إن إيذاء اليهود بشكل متتابع قد قضى على ضعفائنا ، أما الأقوياء منا فقد أخلصوا لجنسهم عندما تفشت أعمال التعذيب ضدهم . أما أولئك اليهود الذين اكتسبوا حظاً وافراً من العلم والثروة ، فقد تخلوا نهائياً عن الولاء لجنسهم » .

« إن التعصبات القديمة ضدنا لاتزال تكمن فى سويداء القلوب ، ومن يريد براهين على ذلك لا يحتاج أكثر من أن ينصت إلى الناس عندما يتحدثون بصراحة وبساطة : فالأمثال والقصص الخرافية جميعها مناهضة للسامية » .

« إننى أعنى بالاندماج ليس فقط مجرد التطابق الظاهرى فى الملبس والعادات والتقاليد واللغة ، ولكن أيضا فى وحدة الشعور والأخلاق . واندماج اليهود بهذا المعنى لن يتم إلا عن طريق الزواج المختلط ، ولكن الحاجة إلى الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم يجب أن يكون تعبيراً عن شعور أغلبية السكان ، وذلك لأن مجرد الاعتراف القانونى به ليس كافياً ...

وفى نفس الوقت فإن الكفاح فى سبيل إقرار مبدأ الزواج المختلط قد جسم الخلافات بين اليهود والمسيحيين ، ومن ثم كان سبباً فى إعاقة امتزاج الأجناس أكثر مما ساعد على تحقيقه !! » .

« إن الذين يرغبون بصدق أن يروا اليهود يذوبون فى بوتقة واحدة مع الشعوب الأخرى ليس أمامهم غير طريق واحد ، وهو أن يمتلك اليهود بادئ ذى بدء قوة اقتصادية تمكنهم من التغلب على التميز الاجتماعى القديم الذى يُمارس ضدهم » .

« إن الحصول المسبق على القوة يمكن أن يكون مرادفاً للتفوق الاقتصادى الذى يُتهم اليهود خطأ بأنهم يملكونه ...

ولذلك فإننى واثق أن اندماج اليهود مع غيرهم عن طريق إحراز مزيد من الرخاء

الاقتصادى غير ممكن التحقيق » .

« غير إننى أريد بادئ ذى بدء أن أتجنب أى سوء فهم قد ينشأ بصفة خاصة من فكرة خاطئة ، إن مشروعى عندما يتحقق قد يمس بأقل الضرر الثروات التى يمتلكها اليهود الآن » .

« أما القومية المتميزة لليهود ، فلا يمكن أن تفنى ، ولن تفنى ولا ينبغى لها أن تفنى . إنه لا يمكن تدميرها ، **لأن الأعداء الخارجيين يدعمونها** » .

« إن بعض هذه المؤسسات الخيرية (جمعيات تهجير اليهود المشردين) أنشئت لا لمصلحة اليهود المضطهدين ولكن ضدهم ، فقد أنشئت لترحيل هذه المخلوقات التعيسة فى أسرع وقت وإلى أبعد ما يمكن . **وهكذا فإن كثيرا ممن يبدون أنهم أصدقاء لليهود ، يصبحون - بالفحص الدقيق - أعداء للسامية من أصل يهودى ، لكنهم متنكرين فى ثياب الإحسان** » .

« إن الحركة (هجرة اليهود إلى وطن) لن تبدأ متسقة فقط مع القانون ، **بل إنه لا يمكن تنفيذها بدون التعاون الصادق من الحكومات المعنية ، والتى ستحصل على فوائد كبرى من وراءها** » .

* * *

يمكن حصر أهم أفكار هذا الفصل فيما يلى :

* اليهود مضطهدون فى كل مكان وزمان .
* لا يمكن وضع حد لهذا الاضطهاد .
* لا يمكن لليهود أن يندمجوا فى أى مجتمع حتى لو أصبحوا أغنياء وأقوياء .
* القوة تسبق الحق .
* الدولة اليهودية ستفيد العالم ، والحكومات التى تدعمها ستحصل على فوائد كبرى .
* العداء للسامية أساس لقيام الدولة اليهودية .
* اليهود الذين يساعدون اليهود الفقراء أعداء للسامية .

ولنا أن نتساءل ... إذا كان اليهود مضطهدين فى كل مكان وزمان .. فلماذا ؟ لماذا لا يندمج اليهود فى أى مجتمع فى الدنيا على مدار التاريخ ؟

كيف ستفيد اليهودية العالم ؟ ما علاقة اضطهاد أو كراهية اليهود بالعداء للسامية ؟ فاليهود اليوم غالبيتهم ليسوا ساميين ، والعرب وأجناس أخرى كثيرة سامية ؟ والساميون من اليهود لا يتجاوزون ٣ ٪ من الساميين فى العالم .

الفصل الثانى : المسألة اليهودية

« لا أحد يستطيع أن ينكر خطورة وضع اليهود ، فحينما يعيشون فى أعداد ملحوظة تجد أنهم مضطهدون بشكل أو بآخر . لقد أصبحت مساواتهم أمام القانون - التى منحها لهم التشريع - حبراً على ورق ، فهم محرومون من شغل الوظائف ذات الأهمية النسبية سواء فى الجيش أو فى أى مجال عام أو خاص . بل إن المحاولات قائمة لإبعادهم عن شتى المهن أيضا :

لا تشترى من اليهود » *

« أليس صحيحاً أنه فى البلاد التى نعيش فيها بأعداد ملحوظة فإن أوضاعنا - سواء فى ذلك المحامين أو الأطباء أو الموظفين من كل صنف - تتحول من سئ إلى أسوأ ، يوماً بعد يوم ؟ » .

« فى الواقع إن كل شئ يتجه إلى خلاصة واحدة تعبر عنها بوضوح العبارة التقليدية فى برلين : أيها اليهود أخرجوا » .

« إننى أزعم أننا لا يمكن أن نأمل فى أى تغيير فى الشعور السائد الآن . ولم ذلك ! **إننا حتى لوكنا أقرب إلى قلوب الأمراء من رعاياهم الآخرين ، فإنهم رغم كل شئ لم يستطيعوا حمايتنا ، وكل ما استطاعوه هو أن يغذوا الكراهية العامة لليهود عندما يظهرون تجاهنا من الرضا أكثر مما**

---

* - شغل اليهود وظائف هامة فى الدولة الإسلامية منذ الخلافة العباسية حتى التركية ، وفى الأندلس إستردوا حقوقهم وأمنهم حتى سقطت الأندلس ، وعلى سبيل المثال ، قال الشاعر المصرى عند ارتفاع نجم اليهود أيام الدولة الفاطمية :
يا أهل مصر إنى نصحت لكم ** تهودوا قد تهود الفلك . وكذلك استمتعوا في مصر بكافة الحقوق كباقى المصريين حتى عدوان ١٩٥٦ .

ينبغى * وما أعنيه بأكثر مما ينبغى فى الحقيقة هو أقل ما يُطالب به كحق أى مواطن عادى أو جماعة عرقية . إن الأمم التى تعيش فى وسطها اليهود جميعها مناهضة للسامية بشكل علنى أو مستتر » .

« وما الذى يمكن اكتسابه بنقل بضعة آلاف من اليهود إلى دولة أخرى ؟ إنهم إما أن يصابوا بالفشل على الفور ، أويكون النجاح حليفهم . وفى هذه الحالة فإن نجاحهم هذا سيولد العداء للسامية » .

« العداء للسامية لا يمكن أن يزول طالما بقيت أسبابه قائمة ... فهل هى قابلة للزوال ؟ » .

« إن العداء للسامية بين الشعوب يتعاظم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة وهو حرىّ بأن يتعاظم حقاً ، لأن أسباب نموه مستمرة فى الوجود ولا يمكن إزالتها » .

« لقد ألمحت فيما سبق إلى مسألة « إدماجنا » ولا أريد أن يفهم من كلامى ولو للحظة أننى أرغب فى نهاية كهذه » .

« إن العالم - بشكل ما - يستفزه ازدهارنا ، لأنه على مدى القرون اعتاد على اعتبارنا أحط الفقراء . وهو بسبب جهله وضيق أفقه قد أخفق فى أن يلاحظ أن الإزدهار يضعف يهوديتنا ويطفئ ميزاتها . إنها الضغوط وحدها التى تدفعنا للعودة إلى جذورنا ، إنها الكراهية التى تحيط بنا هى التى تجعلنا غرباء مرة أخرى » .

* * *

الخطـــة

« فلنُمنح السيادة على جزء من الأرض يكفى للاحتياجات الحقيقية لأمة، وسوف نتكفل نحن بالباقى » .

---

* جاء فى كتاب « الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود » للمؤلف اليهودى إسرائيل شاحاك تحت عنوان اضطهاد اليهود : تجدر الإشارة إلى أنه فى كل أسوأ أنواع الإضطهادات التى تعرض لها اليهود ، أى التى نجم عنها سقوط قتلى بينهم ، كانت النخبة الحاكمة - الإمبراطور والبابا والملوك والأرستقراطية العليا ، وكبار رجال الدين ، وكذلك البرجوازية الغنية فى المدن ذات الإدارة الذاتية - دائما إلى جانب اليهود ، أما من يناصبونهم العداء ، فكانوا دائما من أبناء الطبقات المسحوقة والمُستغلة .

« إن الحكومات فى جميع البلاد التى أُنتُقدت بسبب العداء للسامية سوف تكون حريصة على مساعدتنا فى الحصول على السيادة التى نريدها » .!

« إن الخطة ، وهى بسيطة فى تصميمها معقدة فى تنفيذها ، سوف تقوم بها مؤسستان : جمعية اليهود ، والشركة اليهودية » .

« إذا أردنا أن نقيم اليوم دولة ، فلن نقيمها بنفس الطريقة التى كانت هى الإمكانية الوحيدة من ألف سنة ، لنفرض كمثال على ذلك أنه كان علينا أن نخلى أرضاً من الحيوانات المفترسة . فلن نقوم بالمهمة بنفس الطريقة التى اتبعها الأوروبيون . فلا يصح أن نأخذ رمحا وحربة ونخرج أفراداً وراء الدببة . بل ينبغى أن ننظم مجموعة قوية من الصيادين ، فنسوق الحيوانات لنجمعهم معاً فى مكان واحد ثم نقذف فى وسطهم بقنبلة مدمرة » .

ثم يناقش هرتزل مكان إقامة الدولة الجديدة :

فلسطين أم الأرجنتين ؟

« هناك الآن منطقتان موضوعتان فى الاعتبار : فلسطين والأرجنتين . ففى كل من البلدين هناك تجارب استعمارية هامة . ولكن على أساس مبدأ خاطئ من التسلل التدريجى لليهود . وهو تسلل من شأنه أن ينتهى نهاية سيئة . إنه يستمر إلى اللحظة التى لا يمكن تجنبها . عندما يشعر السكان المحليون أنهم مهددون فيجبرون الحكومة على إيقاف أى تدفق جديد لليهود ، وبالتالى فإن الهجرة لا جدوى منها مالم تقم على أساس من هيمنة مضمونة » .

« هل نختار فلسطين أم الأرجنتين * ؟ إننا سنأخذ ما يُعطى لنا ، وما يختاره الرأى العام اليهودى ، وسوف تقرره الجمعية » .

« فإذا منحنا جلالة السلطان فى فلسطين ، سنأخذ على عاتقنا بالمقابل تنظيم مالية تركيا . ومن هناك (من فلسطين) سوف نشكل جزءاً من استحكامات

---

* هذا السؤال كفيل وحده بدحض دعوى الأرض الموعودة . وفى الحقيقة كان الخيار أوسع من ذلك ، فشمل مع فلسطين والأرجنتين : استراليا ، أوغندا ، كينيا ، ليبيا ، سيناء .

أوروبا فى مواجهة آسيا كموقع أمامى للحضارة فى مواجهة البربرية».

« إن ملاذات العالم المسيحى يجب صيانتها بتحديد مكانة إقليمية إضافية لها مما هو معروف فى قانون الأمم . وعلينا أن نشكل حرس شرف * حول هذه الملاذات بغرض تحقيق هذا الواجب فيما يختص بوجودنا . وسيكون حرس الشرف هذا هو الرمز العظيم لحل المشكلة اليهودية بعد ثمانية عشر قرنا من معاناة اليهود » .

الفصل الثالث : الشركة اليهودية

« لقد صُممت الشركة اليهودية على أساس أن تكون إلى حد ما شركة كبرى للحصول على الأرض ، ويمكن أن نطلق عليها « الشركة اليهودية القانونية » رغم أنها لا تستطيع أن تمارس سلطة سيادية . وإن مهمتها مهمة استعمارية خالصة .

سوف تؤسس الشركة كشركة مساهمة خاضعة للقضاء الإنجليزى ، مصاغة وفقاً للقانون الإنجليزى وتحت حماية إنجلترا . وسيكون مركزها الرئيسى فى لندن » .

« إن الأرض التى ستستحوذ عليها جمعية اليهود بالقانون الدولى ، لابد - بطبيعة الحال - أن يكون الحصول عليها بطريقة خاصة » .

« سوف تبيع الشركة قطع الأراضى للمبانى بأثمان رخيصة لموظفيها وسوف تسمح لهم بسلف لبناء مساكنهم ، ثم تقوم بخصم أقساطها من مرتباتهم ، أو تضعها فى حساباتهم كمكافآت مالية » .

« ولن يسمح بالفوائد تحت أى اعتبار ** . إن أخلاقيات المال تتألف من العلاقة المتبادلة بين الربح و المخاطرة » .

---

* فى تحول لا منطقى ، ولا إنسانى ، يتكلم هرتزل عن حماية اليهود للحضارة الأوروبية - التى أمضى نصف الكتاب يتكلم عن اضطهادها وظلمها لليهود - ، ويذكرنا هذا بما يفعله اليوم قادة إسرائيل والصهيونية العالمية فى تعبئة العالم ضد الإسلام ، وتصويره عدواً للبشرية ، وبديهى أن يتم ذلك بنفس طريقة التضليل والخداع المشهورتين ، فتكون التعبئة ضد الاختراع الحديث : الأصولية الإسلامية .

** إقرأ فى كتاب « سقوط إسرائيل » لمؤلفه « بارى شميس » الذى يفخر بكونه يهودياً إسرائيلياً خاطر بحياته كجندى مخلص :

هناك قصة طريفة تدل على طمع بنك مزراحى وفساده فى ضوء المؤسسة الدينية التى تملكه .

دخل رجل بنك مزراحى وتوجه إلى أمينة الصندوق وقال لها : أريد أن أودع مبلغاً ملعوناً . لم تصدق الموظفة ما سمعته أذناها وطلبت منه أن يعيد مطلبه . فكرر . أريد أن أودع مبلغا ملعونا . أصيبت الموظفة بالذعر والدهشة ونادت مديرها ليوضح لها ذلك الأمر الجلل الذى يحدث .

أقترب المدير من الزبون وقال : نحن بنك متدين ولا نسمح لك أن تدخل وتلعن . قال الزبون مصراً : لقد جئت لأودع ١٠ مليون دولار ملعونة - ماذا ؟! يجيب المدير ويشير بيده للموظفة قائلاً : ولا تريد هذه الموهس أن تساعدك ؟!

« فى أماكن كثيرة يسيطر اليهود على وسائل النقل . وسوف تكون أعمال النقل أول ما تحتاج إليه الشركة وأول ما ستقوم بتصفيته . وعلى الملاك الأصليين أن يسهموا فى خدمة الشركة أو يؤسسوا أنفسهم هناك مستقلين » .

« هناك ثلاثة أساليب للحصول على هذا المبلغ (رأس المال) ستأخذها الجمعية جميعاً فى الاعتبار . إن الجمعية وهى المدير الأعظم لليهود ، سوف تتألف من أفضل رجالنا وأكثرهم استقامة ، وهؤلاء لا ينبغى لهم أن يحصلوا على أى منفعة مادية من عضويتهم للجمعية .

وعلى الرغم من أن الجمعية فى مستهل حياتها لن تملك أكثر من سلطات معنوية ، فإن هذه السلطات كافية لخلق الثقة فى الشركة اليهودية فى عيون الأمة » .

« أما الطرق الثلاثة للحصول على رأس المال فهى :

١ ـ خلال البنوك الكبرى .

٢ ـ خلال البنوك الصغيرة والبنوك الخاصة .

٣ ـ خلال الاكتتاب العام » .

« إن اليهود الفقراء لا يشعرون بغير الكراهية التى تثيرها هذه القوة المالية . ذلك أنهم لم يروا بعد أنها تُستخدم فى رفع شأنهم . إن ثقل مموالينا الكبار من اليهود يجب أن يوضع فى خدمة الفكرة القومية » .

الفصل الرابع : المجموعات المحلية

يكرر المؤلف مرات ومرات أن اليهود غير مرغوب فيهم فى أى مكان فى العالم ، حتى أمريكا ، فأين سيكون وجودهم مرغوباً ؟

ويؤكد إنعدام اندماجهم فى أى مجتمع ، واستمرار الچيتو ، ويكرر ويؤكد اعتماد مشروعه على معاداة السامية ، ثم يختم الفصل بالتلميح عن ميلاد واحدة من أكبر الخدع العقائدية فى تاريخ البشرية :

« إن العسر الاقتصادى والضغوط السياسية والعار الإجتماعى ، كل ذلك دفعنا بعيداً عن أوطاننا وقبورنا . نحن اليهود ـ اليوم ـ ننتقل بصفة مستمرة من مكان إلى

آخر ، وهناك تيار قوى يحملنا بشكل فعلى عبر البحر غرباً إلى الولايات المتحدة ، حيث وجودنا هناك أيضا غير مرغوب فيه . فأين سيكون وجودنا مرغوباً فيه طالما أننا أمة بلا وطن ؟ » .

« إن اليهود - فيما عدا الأثرياء منهم - لديهم قليل من العلاقات الزواجية مع المسيحيين . كما أنه فى بعض البلاد تنحصر معرفتهم بالمسيحيين فى عدد قليل من الطفيليين والأتباع ، أما بالنسبة للطبقات الأفضل من المسيحيين ، فإن اليهود لا يعرفون عنهم شيئا .. إن الچيتو لا يزال قائماً رغم انهيار جدرانه » .

« إن الطبقات الوسطى سوف تنجرف تلقائياً فى التيار الخارج (للهجرة) ، فأبناؤهم سيكونون موظفين فى الجمعية أو أجراء فى الشركة هناك . إن المحامين الذين يبحثون عن فرص ، والذين يفرون اليوم من الاضطهاد فى أوطانهم لكى يكسبوا عيشهم فى أرض أجنبية ، سوف يتجمعون على أرض مليئة بالوعود المواتية . ستتزوج بنات الطبقة المتوسطة أولئك الرجال الطموحين ، وسيبعث أحدهم فى طلب زوجته أو خطيبته للحاق به ، وسيبعث آخر فى طلب أبويه أو إخوته وأخواته وسيتزوج أبناء الحضارة الجديدة فى سن مبكرة ، وهذا من شأنه أن يرتقى بالأخلاق العامة ، ويضمن القوة فى الجيل الجديد . وهكذا لن يكون عندنا أبناء ضعاف بسبب الزيجات المتأخرة ، أطفال من آباء أنهكوا قوتهم فى الصراع من أجل العيش » .

ظاهرة الجمهرة

« أى جهد ضخم قلما سيكون ضرورياً لحث الحركة ، فإن أعداء السامية يوفرون القوة الدافعة اللازمة لذلك » .

« إن طبقاتنا الفقيرة وحدها تكفى لإقامة دولة ، فهؤلاء يشكلون أقوى العناصر البشرية القادرة على حيازة الأرض ، لأن قليلاً من اليأس لا غنى عنه للقيام بالإنجازات الكبرى » .

« كم من الناس قد تم توجيههم إلى مكان معين بدون إعطائهم أوامر للذهاب هناك ؟ هناك بعض اليهود المحسنين على نطاق واسع ممن يحاولون رفع المعاناة عن اليهود من خلال التجارب الصهيونية . هذه المشكلة تطرح نفسها عليهم

أيضا . فكروا فى حلها عن طريق إعطاء المهاجرين مالاً أو وسائل للعمل . وهكذا فإن المحسنين يقولون : إننا ندفع لهؤلاء الناس لكى يذهبوا إلى هناك .

مثل هذا العمل محض خطأ . فكل مال العالم لن يحقق الغرض منه . من ناحية أخرى تقول الشركة : نحن لن ندفع لهم ، بل سنجعلهم يدفعون لنا ، نحن فقط سنوفر لهم بعض الحوافز لكى يرحلوا .

ولكى يكون المعنى الذى أقصده أكثر وضوحاً ، دعنا نتصور هذا الموقف : أحد هؤلاء المحسنين ـ وسنطلق عليه اسم البارون ـ وأنا معه ، نريد أن نحضر جمهوراً من الناس إلى سهل « لون شان » قرب باريس ، فى يوم أحد قائظ بعد الظهيرة .

البارون بوعده لهم عشرة فرنكات لكل واحد ، سيجلب بمائتى ألف فرنك عشرين ألفاً من العرقى البائسين . وسوف يلعنونه لأنه سبب لهم كثيراً من الضر. أما أنا فسأجعل هذه المائتى ألف فرنك جائزة لأسرع فرس فى حلبة السباق . وسأقيم حواجز لأمنع الناس من الدخول . إنهم سيدفعون لكى يدخلوا فرنكا ، وخمسة فرنكات ، وعشرين فرنكا .

وستكون النتيجة أننى سآتى بنصف مليون هناك ، وسوف أحصل فى مقابل المائتى ألف فرنك على حوالى مليون من رسوم الدخول وضرائب اللعبة . سأستطيع أن آتى بالناس إلى هناك عندما أريد أما البارون فلن يستطيع » .

« لقد أعطيناهم أملاً » .

« هل من الضرورى تصوير ظاهرة الجمهرة وتركيز الجماهير فى بقعة معينة بالإشارة إلى الحج المقدس ؟ سوف ألمح فقط باختصار شديد إلى حج المحمديين إلى مكة ، وإلى حج الكاثوليك إلى لوردز وإلى أماكن أخرى كثيرة يعود منها الناس وقد ملأ الإيمان قلوبهم بالغبطة .

سوف ندع كل إنسان يبحث عن خلاصه « هناك » بطريقته الخاصة » .

« عندما تبدأ الحركة ، سوف تجنب بعض الناس ، وسندع آخرين يلحقون بنا ، وآخرون سيجرفهم التيار وسيُقحم فى النهاية آخرون إقحاما » .

الفصل الخامس : جمعية اليهود والدولة اليهودية

« حقا إن الدولة اليهودية يمكن تصور أنها تركيبة جديدة ومميزة ، وعلى أرض غير محددة . إلا أن الدولة لا تتشكل بواسطة قطعة من الأرض ، ولكن بواسطة عدد من الناس متحدين تحت سلطة سيادية . الشعب هو الأساس الذاتى للدولة ، والأرض هى الأساس الموضوعى لها . والأساس الذاتى هو أهم الأثنين . فعلى سبيل المثال هناك سلطة ليس لها أساس موضوعى على الإطلاق ، هى على الأرجح أكثر احتراما فى العالم ، أنا هنا أشير إلى السلطة البابوية » .

« لقد ذكرت من قبل أن أول أهدافنا هو السيادة ـ التى يضمنها لنا القانون الدولى ـ على قطعة من الأرض ذات مساحة كبيرة كافية لتحقيق متطلباتنا العادلة .

فما هى الخطوة التالية ؟ » .

إحتلال الأرض

منذ ما لا يزيد عن أربعين عاماً مضت ، كان البحث عن الذهب يجرى بطريقة بالغة البدائية . فكم كانت أيام كاليفورنيا مليئة بالمغامرات ! خير جلب المغامرين تباعاً من أنحاء الأرض ، فسطوا على قطع من الأرض ، وسرقوا الذهب بعضهم من بعض ، وفى النهاية ضيعوه على موائد القمار كما يفعل اللصوص فى العادة . ».

« علينا أن نبحث وأن نمتلك الوطن اليهودى الجديد ، مستخدمين كل ذريعة حديثة » .

الدستور

« أرى أن الملكية الديمقراطية والجمهورية الأرستقراطية هما أروع أشكال الدولة ، ففيهما شكل الدولة ومبدأ الحكومة متعارضان ، ومن هنا يأتى التوازن الصحيح للقوة . إننى مؤيد وفى للمؤسسات الملكية ، لأنها تسمح باستمرارية السياسة ، وتمثل مصالح الأسر الشهيرة فى التاريخ ، أولئك الذين ولدوا وتعلموا لكى يمارسوا الحكم ، ورغباتهم محكومة بالحفاظ على الدولة » .

« قال منتسيكو الحكيم : إن النزعة إلى الديموقراطية هى الفضيلة .

فأين هى هذه الفضيلة ؟ أعنى الفضيلة السياسية .. ؟ أين نصادفها ؟

إننى لا أثق فى فضيلتنا السياسية ، أولا لأننا لسنا أفضل من بقية البشر المعاصرين ، وثانيا لأن الحرية ستجعلنا نبرز مواهبنا فى العراك قبل أى شئ آخر » .

« من المستحيل أن تصوغ سياسة حكيمة فى جمعية عامة . إن السياسة يجب أن تتشكل فى إطار الطبقة العليا ثم تعمل نزولاً إلى الطبقات الأدنى . ولكن لن يمس الجور أبناء الدولة اليهودية . فكل إنسان سيكون مقتدراً ، وسيكون راغباً فى الإرتقاء فيها » .

اللغـــة

« تقدم إلينا سويسرا برهاناً قاطعاً على إمكانية تعدد اللغات فى اتحاد فيدرالى ، اللغة التى تثبت أنها أكثر نفعاً فى العلاقات الإجتماعية العامة ، سوف نتبناها بدون إكراه كلغة قومية . إن جنسنا غريب فريد فليس يجمع بيننا إلا عقيدة آبائنا » .

حكومة ثيوقراطية

هل سننتهى إلى حكومة ثيوقراطية ؟

لا بالتأكيد . إن العقيدة تجمعنا والمعرفة تمنحنا الحرية . ولذلك فسنمنع أى إتجاهات ثيوقراطية تتصدر قياداتنا من جانب الكهنوت * . **سوف نحصر كهنتنا داخل حدود المعابد ، كما سنحصر بالمثل جيشنا داخل حدود معسكراته** ** . لسوف يتلقى جيشنا وكهنتنا منا كل احترام رفيع بقدر ما تستحقه وظيفتهما القيمة ، ولكنهما يجب ألا يتدخلا فى إدارة شئون الدولة التى تخلع عليهما مكانة سامية وإلا فسيجلبان علينا صعوبات فى الداخل والخارج » .

---

* لم تخل حكومة إسرائيلية واحدة منذ قيام إسرائيل وحتى اليوم عن اشتراك أحزاب دينية بها ، وكثيراً ما كان منصب وزير الداخلية من نصيب الأحزاب الدينية !

** كذلك لم يتول منصب رئيس الوزراء فى إسرائيل منذ قيامها أحد من خارج المؤسسة العسكرية إلا ثلاث مرات ، فى إحداها جولدا مائير ، الأكثر تطرفاً من قادة المؤسسة .

منافع هجرة اليهود

« أتصور أن الحكومات ـ سواء طواعية أو تحت ضغوط من أعداء السامية ـ سوف تعطى هذا المشروع اهتماما خاصاً ، أو لعلها تستقبله هنا وهناك بتعاطف سيبدونه أيضا لجمعية اليهود » .

« إن الحركة اليهودية يمكن أن توقف بشكل تام هجرة العمال المسيحيين إلى مختلف بقاع العالم » .

« وهناك ميزة أخرى ربما من أعظم الميزات ، وهى الارتياح الاجتماعى الذى سيتولد ، فقد يهدأ القلق الاجتماعى ، وعلى أى حال ، سوف تستقر الأوضاع الاجتماعية خلال الفترة الإنتقالية » .

الفصل السادس : خاتمة

« إن الإخوة العامة ليست حتى حلماً جديداً ، فالتنافر ضرورى لأعظم الجهود الإنسانية » .

« كل من لديه الرغبة فى أن يسير خلف علمنا ، يجب أن ينهض لمساعدتنا فى هذه الحملة التنويرية ، **فربما سيكون علينا أن نحارب أولاً ضد كثير من أبناء جنسنا ، من أصحاب الأفق الضيق والقلوب العليلة والتوجهات الفاسدة** » .

« والآن ... قد تبدو الأمور طويلة لا نهاية لها ، فحتى مع أفضل الظروف قد تمضى سنوات كثيرة قبل أن نبدأ فى إقامة الدولة ، وفى غضون ذلك سيعانى اليهود فى ألف مكان ومكان من الإهانات والإذلال وسوء المعاملة والضرب والنهب والموت » .

« ولكن علينا أولاً أن نحرر عقول الرجال ، فلابد أن تشق الفكرة طريقها إلى أبعد وأتعس الجحور التى يعيش فيها شعبنا . إنهم سيستيقظون من ظلال الفكر عندما يتدفق فى حياتهم معنى جديد . كل إنسان يحتاج إلى أن يفكر فى نفسه فقط ، وستتولى الحركة أكبر نصيب » .

* * *

يمكن الآن حصر أهم أفكار كتاب « الدولة اليهودية » :

١ ـ العالم يكره اليهود ، ولا أمل فى انتهاء هذه الكراهية فى أى مكان ولا زمان .

٢ ـ لا يمكن لليهود أن يندمجوا فى أى بلد فى العالم مع شعوبه .

٣ ـ اليهود أمة واحدة متميزة .

والأفكار الثلاث الأولى هى لب العنصرية ، وقد أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة إسرائيل فى السبعينات بتهمة العنصرية ، ولكن للأسف ، ضغطت الولايات المتحدة حتى ألغت القرار بعد عدة سنوات ، وصوتت مصر فى جانب إلغاء القرار ، على أمل أن تنتهى إسرائيل عن ممارساتها العنصرية والقمعية للفلسطينيين .

٤ ـ لا حل للمشكلة اليهودية إلا بخلق دولة يهودية .

٥ ـ معاداة السامية هى أساس قيام الدولة اليهودية .

٦ ـ يجب أن يكون أصحاب فكرة قيام الدولة اليهودية مستعدين لمحاربة اليهود إذا وقفوا فى سبيل الدولة الجديدة .

٧ ـ يجب أن تكفل القوى العالمية قيام هذه الدولة ، ربما يكون دافعها الخلاص من اليهود ، أو ما تستفيده من وراء تلك الدولة اليهودية الجديدة ، أو من كل ذلك .

٨ ـ وعن إسلوب إقامة الدولة ، نرجع لألفاظ هرتزل بالنص :

« إذا أردنا أن نقيم اليوم دولة ، فلن نقيمها بنفس الطريقة التى كانت هى الإمكانية الوحيدة من ألف سنة ، لنفرض كمثال على ذلك أنه كان علينا أن نخلى أرضاً من الحيوانات المفترسة . فلن نقوم بالمهمة بنفس الطريقة التى اتبعها الأوروبيون . فلا يصح أن نأخذ رمحا وحربة ونخرج أفراداً وراء الدببة . بل ينبغى أن ننظم مجموعة قوية من الصيادين ، فنسوق الحيوانات لنجمعهم معاً فى مكان واحد ثم نقذف فى وسطهم بقنبلة مدمرة » .

٩ ـ وفى البحث عن دافع روحى ، أو عقيدة ، لقيام هذه الدولة ، نرجع أيضا لألفاظ هرتزل بالنص :

« كم من الناس قد تم توجيههم إلى مكان معين بدون إعطائهم أوامر للذهاب هناك ؟ هناك بعض اليهود المحسنين على نطاق واسع ممن يحاولون رفع المعاناة عن اليهود من خلال التجارب الصهيونية . هذه المشكلة تطرح نفسها عليهم أيضا . فكروا فى حلها عن طريق إعطاء المهاجرين مالاً أو وسائل للعمل . وهكذا فإن المحسنين يقولون : إننا ندفع لهؤلاء الناس لكى يذهبوا إلى هناك .

مثل هذا العمل محض خطأ . فكل مال العالم لن يحقق الغرض منه . من ناحية أخرى تقول الشركة : نحن لن ندفع لهم ، بل سنجعلهم يدفعون لنا ، نحن فقط سنوفر لهم بعض الحوافز لكى يرحلوا .

ولكى يكون المعنى الذى أقصده أكثر وضوحاً ، دعنا نتصور هذا الموقف : أحد هؤلاء المحسنين ـ وسنطلق عليه اسم البارون ـ وأنا معه ، نريد أن نحضر جمهوراً من الناس إلى سهل « لون شان » قرب باريس ، فى يوم أحد قائظ بعد الظهيرة .

البارون بوعده لهم عشرة فرنكات لكل واحد ، سيجلب بمائتى ألف فرنك عشرين ألفاً من العرقى البائسين . وسوف يلعنونه لأنه سبب لهم كثيراً من الضر. أما أنا فسأجعل هذه المائتى ألف فرنك جائزة لأسرع فرس في حلبة السباق . وسأقيم حواجز لأمنع الناس من الدخول . إنهم سيدفعون لكى يدخلوا فرنكا ، وخمسة فرنكات ، وعشرين فرنكا .

وستكون النتيجة أننى سآتى بنصف مليون هناك ، وسوف أحصل فى مقابل المائتى ألف فرنك على حوالى مليون من رسوم الدخول وضرائب اللعبة . سأستطيع أن آتى بالناس إلى هناك عندما أريد أما البارون فلن يستطيع » .

« لقد أعطيناها أملاً » .

١٠ ـ سيُقحم بعض اليهود في النهاية للذهاب إلى تلك الدولة إقحاماً .